مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١٦–١٨؛ ١:٧)

يا إخوةُ أنتم هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قال اللهُ إنّي سأسكن فيهم وأسيرُ فيما بينهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً* فلذلك اخرُجوا من بينهم واعتزلوا يقول الربُّ ولا تَمَسُّوا نَجِساً* فأقبَلُكم وأكونُ لكم أباً وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القديرُ* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاءُ فلنُطهِّرْ أنفُسنا من كلِّ أدناسِ الجسدِ والروحِ ونكمِّل القداسة بمخافة اللهِ.

الإنجيل

(لوقا ٧: ١١–١٦)

في ذلك الزمان كان يسوعُ منطلقاً إلى مدينةٍ اسمها ناينُ وكان كثيرون من تلاميذه وجمعٌ غفيرٌ منطلقينَ معه* فلمَّا قرُبَ من بابِ المدينةِ إذا ميِّتٌ

موكب الموت وموكب الحياة

يبدأ المقطع الإنجيلي المتلو علينا في هذا اليوم بأن الرب يسوع كان «منطلقاً إلى مدينة اسمها ناين»، وفي سياق النص أنّ السيد كان آتياً من كفرناحوم، حيث شفى غلام قائد المئة الروماني «الذي كان مشرفاً على الموت» (لو ٧: ١–١١). الإرتباط بين الحادثتين أبعد من مجرّد توالٍ في سرد الأحداث، والإنجيل لا يتوخى السرد الروائي ولا التأريخ. الحادثتان ترسمان مشهداً واحداً: يسوع هذا الذي تردد بين الناس وعلّم وأجرى آيات، هو سيد الحياة والموت، هو السميع المجيب، وهو المبادر أيضاً. وفي الحادثتين يسوع يذهب إلى حيث المرض والموت فيخلّص ويقيم، والرمزية هنا تشير إلى التجسّد.

من كفرناحوم ينطلق يسوع إذاً إلى ناين، ومعه «كثيرون من تلاميذه وجمعٌ غفير»: واضح هنا أن تدبير الله هذه المرة قضى بأن يكون للمعجزة المقبلة شهود كثيرون. المعجزة هنا ليست شفاءً كسابقتها بل إقامة شاب من الموت، والرب يسوع هنا لا يستجيب لطلب بل هو الذي يبادر. الارتباط بين الحادثتين يحكي أيضاً عن قوة الحياة الكامنة في المسيح والتي هو مُعطيها، وعن مفهوم القيامة كهبة مجانية هو أيضاً، بسلطانه، معطيها. «فلمَّا قَرُبَ من باب المدينة»، وناين كسائر المدن آنذاك مسوَّرة والمقابر خارجها، يلتقي الموكبان: موكب الموت وموكب الحياة. أغلب الظن أن الوقت كان مساءً، إذ إن الجنائز في تلك الأيام كانت تسير بعد الغروب. الجنازة هي لشابٍ وحيد أمه الأرملة، أي لمَن كان سندها الباقي الوحيد، هناك كان جمع من مرافقي يسوع الذين كانوا يرون فيه الفرح والرجاء. يلفتنا هنا كيف أن الإنجيلي لوقا، بعبارة «وحيد لأمه وهي أرملة»، يصور حجم الفاجعة وهول وقعها: أم أرملة تفقد ولدها في صباه، وحيد ما أرضعت ولا ربّت سواه، هو فرح أيامها وعزاء شيخوختها، وهو الذي كان ينبغي أن يردّ التراب عليها وليس العكس. أما المتبقي من حياتها من بعده، فليس فيه سوى الوحدة المرة والحزن القاتل. بعض

العدد ٢٠١١/٤١

الأحد ٩ تشرين الأول ٢٠١١

تذكار القديس الرسول

يعقوب بن حلفا

وأبينا البار أندرونيكس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

محمولٌ وهو ابنٌ وحيدٌ لأمِّه وكانت أرملةً وكان معها جمعٌ كثيرٌ من المدينة* فلمَّا رآها الربُّ تحنَّنَ عليها وقال لها لا تبكي* ودنا ولمسَ النعشَ فوقف الحاملون فقال أيُّها الشابُّ لك أقولُ قمْ* فاستوى الميِّتُ وبدأ يتكلَّم فسلَّمَهُ إلى أمِّهِ* فأخذ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللهَ قائلينَ لقد قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقد اللهُ شعبَهُ.

تأمل

لا يجب الحزن من أجل الأموات كلهم، ولا السرور من أجل الأحياء جميعاً، بل يجب البكاء من أجل الخطأة الأحياء، لا من أجل الأموات. ويجب الفرح من أجل الأبرار الأحياء، والراقدين. فالأولون، أي الخطأة، ماتوا وهم في قيد الحياة، والآخرون أي الأبرار، يحيون في الممات. أولئك يؤسف عليهم وهم أحياء، وأيضاً عندما يموتون، لأن الخطأة أينما كانوا هم بعيدون عن الملك، ولهذا يستحقون الدموع. والأبرار سواء كانوا هنا أم هناك، هم دائماً مع الملك وقريبون منه لا بالصبر والإيمان بل وجهاً لوجه، كما قيل.

آبائنا القديسين رأوا في المرأة الثكلى هنا رمزاً للخليقة التي بكت بكرها ووحيدها آدم لما سقط، وهو بعد في أول العمر.

«فلمَّا رآها الربُّ (تتقدَّم الجنازة) تحنَّن عليها وقال لها لا تبكي». كل منا سبق له أن عزى محزوناً بفقدان حبيب، وكلمات المواساة قد تطيّب الخاطر أو تعبّر عن المحبة، وقد تحمل إلى المحزون عزاءً ما. ولكن، مَن يتجرأ أن يقول لأم فقدت وحيدها الشاب، بصيغة الأمر: «لا تبكي»؟ الرب يسوع تحنن على الفاقدة وحيدها، ولعلّه أيضاً إزاء هذا المنظر تحنّن على والدته العذراء، التي سوف تسير يوماً معه إلى «خارج المدينة»، وهو يحمل صليبه على كتفيه، إلى الجلجلة حيث سوف يحصل موته الفظيع. الجموع هنا تواكب الأم الثكلى مواسية، أما الجموع التي سوف تمشي في إثر يسوع إلى صليبه فهازئة. بالعودة إلى عبارة «لا تبكي»، يعلّمنا الإنجيل ههنا أن مَن يقول هذه العبارة مواسياً، وفي قلبه إيمان صلب حقيقي بالرب يسوع، سوف تستحيل مواساته قوة حياة مستمدة من الرب مصدر الحياة نفسه. فقط إذ ذاك يتجرأ بأن يقولها بثقة وقوة، لأنه يعلم أنه يحمل إلى المحزون لا كلام مواساة وحسب، بل المسيح نفسه معطي الحياة.

«دنا ولمس النعش فوقف الحاملون». لو كان الرب يسوع تقدّم وخاطب الأرملة دون الحاجة إلى لمس النعش، أما كان وقف الحاملون؟ ما حاجة يسوع إذاً إلى لمس النعش؟ يقول آباؤنا القديسون أن اللمسة هذه ترمز إلى كيف أن مسيرة الموت تجمدت لما اقتحمها السيد. في لمسة النعش كشف عن القوة الكامنة في جسد يسوع الإلهي، الجسد الذي رأينا فيه الكلمة ابن الله الأزلي، الجسد الذي أتحد الطبيعة البشرية بالله. هذا هو الجسد المستمرّ وجوده معنا ولنا، في الإفخارستيا، وهو الذي ينقل إلى المتحدين به قوة الحياة التي في الكلمة وغلبته على الموت. بعدما جمّد السيد مسيرة الموت، يخاطب الميّت آمراً «أيها الشاب لك أقول قم». زهرة الشباب ورجاء شيخوخة أمه، وحيدها الذي كان مزمعاً أن يكمل نسل أجداده، أسقطته قوة الموت، ومثل هذا الموت غالباً ما يُرى فيه ظلم لا يُفسَّر. لكن الأمر الإلهي أقامه. لعل الشاب هنا يرمز إلى البشرية التي اغتالتها الخطيئة وهي بعد في أول الطريق، البشرية التي خُلِقت لتعكس صورة صلاح الخالق في الكون. لكن قبل أن تُدفَن في الزوال النهائي يعترض مسيرة موتها الكلمة المتجسد، خارج أسوار المدينة والرمزية هنا إلى ذبيحة الصليب التي أبطلت الموت والتي حدثت خارج أسوار أورشليم، ليخاطبه مخاطبة شخصية «أيها الشاب لك أقول» بصيغة الأمر وبسلطان من لا يُرَدُّ أمره «قم». الجواب فوري. فكما بمجرّد لمس النعش وقف الحاملون، بكلمة الرب الآمرة استوى الشاب في نعشه «وابتدأ يتكلم» دليلاً على ملء الحياة. إفاقة نائم من نومه تأخذ وقتاً أكثر مما احتاجه هذا الميت ليقوم. أليشع لأجل إقامة الميت صلّى، وكذلك إيليا، لكن الرب أمَرَ فاستوى الشاب على محمله.

لا يقف الإنجيلي هنا بل يزيد عبارة «فسلّمه إلى أمه»، التي قد يعبر عليها القارئ بلا انتباه. لقد وهب يسوع الأرملة ابنها فعلاً، فهي

لهذا لا يجب البكاء من أجل الأموات كلهم بل من أجل الذين ماتوا في الخطيئة. فهؤلاء لا يستحقون البكاء والنوح والدموع لأن لا أمل لهم من انتقالهم إلى هناك في الخطيئة حيث لا يقدرون على إزالتها. ففي هذه الحياة كان يجوز الانتظار لتغيير حياتهم إلى أحسن، لكن بعد ذهابهم إلى الجحيم لا فائدة من التوبة البتة، إذ قد قيل: وهل في الجحيم من يعترف لك (مز ٦: ٦) فكيف لا يستحقون الدموع؟

ان ذرف الدموع لأجل مَن يموتون في الخطيئة واجب، وأنا لا أمنعكم من البكاء. ولكن، يجب ألا نتجاوز الاعتدال فننتف شعورنا ونعرّي أيدينا ونمزق وجوهنا ونلبس الثياب السوداء، بل يجب أن نذرف الدموع المريرة بكل هدوء وسكينة. فاذرف الدموع المرة، وارسل التنهدات خفية، ليكون أسفك شديداً، ويأتيك بالنفع. ابكِ من أجل غير المؤمنين والذين ماتوا من دون معمودية، ومسح بالزيت المقدس. ان مثل هؤلاء يستحقون الدموع كانت قد فقدته. ويسوع هو الذي خطف الشاب من الموت وأعاد إليه الحياة، فصار الشاب بطبيعة الحال مُلكاً ليسوع. وكأننا بيسوع هنا يقول للإنسان عموماً عبر هذا الشاب «عُد إلى الحياة، إلى دورك الأول الذي من أجله خُلقت، أكمل في الخليقة نسل ابناء الله وقدّسها لله». يقول أبونا البار مكسيموس المعترف ان الإنسان كاهن كوني دوره في هذه الحياة أن يقدّس الكون، ليرفعه إلى الله الخالق مُقدَّساً طاهراً. «التي لك ممَّا لك، نقدِّمها لك»، نقول في قدّاسنا الإلهي.

القديس أمبروسيوس الذي من أوبتينا

تعيِّد كنيستنا المقدسة في العاشر من شهر تشرين الأول للقديس أمبروسيوس الذي عاش في دير «أوبتينا بوشتين» وترأسه.

وُلد ألكسندر ميخاييلوفيتش غرينكوف في ٢٣ تشرين الثاني ١٨١٢ في مقاطعة تامبوف الروسية، وقد ربَّاه والداه بصرامة وتقوى شديدة. لم يشكّل دخوله معهد تامبوف اللاهوتي عام ١٨٣٠ مفاجأةً بما أنّه كان من عائلة كهنوتية، وهناك كان بين المتفوِّقين في الدراسة. مَرِضَ ألكسندر كثيراً قبل حوالي العام من تخرُّجه فوعد الله بأنه إذا شُفِيَ سيصبح راهباً. على الرغم من أن صلواته استُجيبت إلاَّ أنَّ ألكسندر نسيَ وعده. بعد تخرُّجه من المعهد، إستلم منصباً كمدرِّس خصوصيّ لأولاد أحد الإقطاعيين وبقي مع هذه العائلة حوالى السنة والنصف. بعد هذا، أصبح معلّماً في المدرسة المحليَّة التابعة للأبرشية.

في أحد أيام العام ١٨٣٩، زار ألكسندر مع صديق له الناسك الشهير الأب إيلاريون لسؤاله عمَّا عليهما فعله في حياتِهما. تفاجأ ألكسندر عندما قال له الشيخ إنَّ عليه الذهاب إلى دير «أوبتينا بوشتين» حيث هم بحاجةٍ ماسَّةٍ له، غير أنّه، في أيلول من العام نفسه، تابع عمله كمعلّم.

ذات ليلة، دُعي لقضاء أمسيةٍ لطيفةٍ مع بعض الأصدقاء فانصبَّت الأنظار عليه بسبب سرعة بديهته وذكائه ونكاته وتضميناته الكلامية، لكن على الرغم من سعادة مضيفيه وإعجابهم به، شعر ألكسندر بالقرف من تفاهته، ولعلَّ وعده غير الموفى بأن يصير راهباً أصبح حملاً ثقيلاً على ضميره، فاستقال في اليوم التالي من وظيفته ووصل إلى أوبتينا في تشرين الأول ١٨٣٩. بعد فترة من الاختبار قرَّر أن يبقى في الدير مكرِّساً نفسه لله، واقتبل التكريس الرهباني عام ١٨٤٢ متّخذاً اسم أمبروسيوس (على اسم القديس أمبروسيوس أسقف ميلان الذي نعيّد له في ٧ كانون الأول).

تعرَّف أمبروسيوس إلى الأبوين الروحيين الشهيرين الشيخ ليونيدس والشيخ مكاريوس اللذين من دون شكّ أثّرا في تقدُّم الراهب الشاب الروحي. سيم أمبروسيوس كاهناً عام ١٨٤٥ وقد لاحظ الرهبان الآخرون وقاره وتقواه في الاحتفال بالخِدَم الإلهيّة. بعد فترة من الزمن بدأت حاله الصحيّة تتدهور واضطرّ أن يطلب إعفاءه من كلّ مهامه. عام ١٨٤٦ أصبح مريضاً جداً فمنح سرّ مسحة الزيت المقدس. تحمّل مرضه من دون تذمُّر إلى أن بدأ يتحسَّن شيئاً فشيئاً، وأصبح بمقدوره السير بمساعدة عكّاز مع حلول العام ١٨٤٨. بدأ الأب أمبروسيوس يساعد الشيخ مكاريوس بتحضير نسخة روسية

والأسف. انهم خارج قصر الملك مع المحكومين والمجرمين. الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله (يو ٣: ٥) ابكِ من أجل الذين ماتوا أغنياء ولم يفكروا أن ينفقوا شيئاً من غناهم لأجل تعزية نفوسهم ولم يريدوا أن يطهروا نفوسهم من الخطيئة وهم قادرون على ذلك. لنبك كلنا لأجلهم باعتدال ورصانة حتى لا نتعرض للسخرية. لنبكهم لا يوماً واحداً أو أكثر بل ما دمنا على قيد الحياة، لأن هذه الدموع صادرة عن إدراك وتأثر، ودليل على المحبة والشفقة. لذلك لا تجف كغيرها عاجلاً.

ان الله يريد أن نساعد بعضنا بعضاً، وإلا فلماذا أمر بالصلاة من أجل سلام كل العالم؟ لماذا نصلّي من أجل الناس جميعاً مع انه يوجد بينهم لصوص ونهابون وأثمة ارتكبوا أعظم الجرائم. اننا نصلّي أملاً برجوعهم عن الخطيئة. وما دمنا نصلّي من أجل الأحياء الشبيهين بالأموات، فلماذا لا نصلّي أيضاً من أجل الأموات؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

من كتاب القديس يوحنا السلّمي «السلّم إلى الله» الذي نشره الدير فيما بعد.

عندما اضطرّ الأب مكاريوس إلى الذهاب إلى موسكو عام ١٨٥٢، عيّن الأب أمبروسيوس مكانه لحين عودته. لم يعطِ الأب أمبروسيوس آراءه الشخصية عندما كانت تُطلب منه نصيحة، لكنّه كان يطلب من الناس أن يقرأوا أقوال الآباء، وإذا لم يفهموا النص الذي أعطاهم إيّاه كان إذاك يفسّره لهم بعبارات بسيطة.

رقد الأب مكاريوس عام ١٨٦٠ من دون أن يسمّي أي شخص لخلافته كرئيس للدير، وبتدبير إلهي حدث أنّ كلّ المرشحين لخلافته إمّا رقدوا بالرب أو عيّنوا رؤساء أديرة أخرى، الأمر الذي جعل من الأب أمبروسيوس قائداً روحيًّا للدير بلا منازع. لم تخلُ قلاّية الشيخ أمبروسيوس من الزائرين الذين كانوا يصطفّون أمام بابه منذ ساعات الفجر الأولى فكان نهاره يبدأ عند الرابعة فجراً ولا ينتهي قبل منتصف الليل. هذا الروتين كان ليقتل إنساناً بعمر الشيخ إنما الأمر المذهل كان بقاء الأب أمبروسيوس على هذه الوتيرة لسنوات طوال.

زاره الناس من كافة أنحاء روسيا، كما أنّ الكاتب تولستوي زاره على الأقل ثلاث مرات فاندهل من حكمة هذا الشيخ. جاء الكاتب فيودور دوستوييفسكي إلى أوبتينا عام ١٨٧٨ بعد وفاة ابنه أليوشا وقد تأثّر كثيراً بلقائه مع القديس أمبروسيوس حتى أنّ الكاتب اتّخذه نموذجاً لشخصيّة الستارتز زوسيماس في كتابه «الإخوة كارامازوف».

أسس القديس دير «شارمودينو» النسائي عام ١٨٨٤ قرب أوبتينا والذي فتح أبوابه أمام النساء الفقيرات والمريضات وحتى العمياوات. بعد رقاد رئيسة الدير الأولى الأم صوفيّا بدأ الدير يتدهور، فذهب القديس إلى هناك عام ١٨٩٠ ليصوّب الأمور، إلاّ أنّه مرض ولم يستطع العودة إلى أوبتينا كما أنّ الشتاء منعه من العودة، فأخذ يستقبل الزوار في «شارمودينو» على الرغم من حاله الصحية المتردّية باستمرار، إلى أن أصبح واضحاً في أيلول ١٨٩١ أنّه لم تعد لديه أيامٌ كثيرة على الأرض. رقد بالرب صباح العاشر من تشرين الأول ١٨٩١. خلفه في رئاسة الدير الآباء: يوسف وأنطونيوس وبنديكتوس وأناتولي إلى أن أُغلق الدير بعد الثورة الروسية.

بقايا القديس وغيره من آباء أوبتينا موجودة حالياً في كنيسة أيقونة «عذراء فلاديمير». أُعلِنت قداسة الشيخ أمبروسيوس عام ١٩٨٨ ضمن برنامج الاحتفالات بالذكرى الألفيّة لتنصير روسيا. صلواته تحفظنا، آمين.

جوقة الأولاد

تخدم جوقة الأولاد في أبرشية بيروت «Choeur d'Enfants» قدّاساً إلهياً هو باكورة نشاطاتها وذلك عند الساعة التاسعة والنصف من صباح السبت ١٥ تشرين الأول ٢٠١١ في كنيسة بشارة السيدة في الأشرفية. يلي القداس فحص صوت للراغبين بالإنضمام إلى الجوقة ممّن هم بين ٨ و١٢ سنة وذلك في صالون الكنيسة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb